آداب الرافدين – العدد (55)

1430هـ/2009م

قلعة المرقب ودورها العسكري في عصر الحروب الصليبية

م.د. مصعب حمادي نجم*

تاريخ التقديم: 2008/3/31 تاريخ القبول: 2008/6/8

تعد قلعة المرقب (1) من أهم المعاقل العسكرية الواقعة ضمن مناطق نفوذ إمارة أنطاكية الصليبية وكانت هذه القلعة هي أول ما يشاهده القادم من الغرب إلى شمال بلاد الشام من جهة البحر المتوسط مما اكسبها موقعاً استراتيجياً هاماً بالنسبة للصليبيين (2) كان له دور كبير في وصول الإمدادات الصليبية بشكل مستمر من الغرب الأوربي (3) فقد كانت وظيفتها الرئيسة الرصد والإنذار وحماية مدينة بانياس المجاورة لها وبالتالي الإسهام في حماية الساحل الشامي (4) وفضلاً

---

* قسم الحضارة الإسلامية/ كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل.

(1) جاءت تسمية المرقب من اسم الموضع الذي يرقب فيه الجند للمراقبة وحماية القلعة والمنطقة المجاورة لها، ينظر: شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: 1957م)، ج 2، ص 105، وتكتب باليونانية ماركابوس: **Marcappos**، ومارشابان: **Marchappin**، وبالفرنسية مارغات: **Margat** ومرغاتوم: **Margathum**، ومرغانت: **Margant**. ينظر فولفغانغ مولر فينر، القلاع ايام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، ط 2 (دمشق: 1984م)، ص71؛ بسام العسلي، فن الحرب الاسلامي في ايام الحروب الصليبية (بيروت: 1988م)، ج 4، ص343.

(2) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني (بيروت: 1967م)، ج 2، ص218؛ نبيلة ابراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشرالميلادي (القاهرة: 1994م)، ص 82، للاطلاع على قلعة المرقب، ينظر: صورة رقم (1).

(3) خاشع المعاضيدي واخرون، الوطن العربي والغزو الصليبي (بغداد: 1981م)، ص239.

(4) محيي الدين بن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (القاهرة: 1961م)، ص85.

عن تامين السيطرة الصليبية على الأراضي الداخلية كانت تؤدي دورها في الدفاع عن حدود تلك الإمارة الصليبية[1].

اما عن موقعها الجغرافي [2] فإنها تقع على مسافة (6 كم) جنوب شرق مدينة بانياس وتشرف على ساحل البحر المتوسط مباشرة، على مقربة من قلعة جبلة[3][4] وقلعة صهيون **hastel Saone**[5] وتبعد القلعة حوالي (16 كم) عن مدينة طرطوس[6] او (24 كم) حسب تقديرات إحدى المصادر الجغرافية [7] وفوق ذلك كله كانت قلعة المرقب تمثل الحد الشمالي لإمارة طرابلس الصليبية[8].

وفيما يتعلق بتكوينها المعماري[1] فقد أقيمت فوق قمة جبل صخري مثلث الشكل يرتفع مسافة (300م) عن سطح البحر [2] وقد بنيت من أحجار سوداء

---

(1) كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: احمد الشيخ (القاهرة: 1995م)، ص263.

(2) للاطلاع على موقع قلعة المرقب، ينظر: خارطة رقم (1).

(3) جبلة: قلعة مشهورة تقع على ساحل البحر المتوسط، من اعمال حلب قرب مدينة اللاذقية السورية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص105.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص108،؛ عماد الدين اسماعيل بن محمد ابو الفدا، تقويم البلدان، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان (باريس: 1840م)، ص 255، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد للاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: 1957م)، ج 2، ص1259–1260.

(5) قلعة صهيون: تعرف اليوم بقلعة صلاح الدين قرب بلدة الحفة شرقي مدينة اللاذقية السورية اما تسميتها بقلعة صهيون فلا اصل لها. ينظر: رنيه كروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة وتعليق: احمد ايبش (دمشق: 2002م)، ص99، هامش رقم (2).

(6) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص85؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز واخر (بيروت: 2004م)، ج31، ص15.

(7) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص255.

(8) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: كمال اليازجي، ط 2 (بيروت: 1972م)، ج2، ص231.

(1) للاطلاع على مخطط قلعة المرقب وتصميمها المعماري. ينظر: شكل رقم (1).

قديمة، وفي ذلك تشابهت مع برج السلطان نور الدين محمود زنكي (541–570هـ/1146–1174م) في دمشق الذي بني أيضاً من الأحجار السوداء القديمة[3].

اما عن تحصيناتها العسكرية فهي محصنة تحصيناً جيداً، وتتألف القلعة من قليعة داخلية قوية وقلعة خارجية أكثر اتساعاً، يحيط بها سور خارجي مزدوج جزئياً مرتبط داخلياً بأبراج عديدة مختلفة القياسات والإشكال، والقليعة الداخلية عبارة عن قلعة صغيرة مستطيلة الشكل تقريباً لها حلقتان من الأسوار تقع على الجهة الجنوبية لذلك الموقع، ويفصلها عن القلعة الخارجية قناة مائية عريضة، وقد عززت الأسوار الخارجية بحصون نصف دائرية معزولة [4] وفضلاً عن الأسوار المزدوجة احتوت قلعة المرقب على أبراج مستديرة الشكل، وقد كان البرج الرئيس للقلعة أضخم من أي برج آخر، يبلغ قطره (30م)، وامتازت الأبراج بارتفاعها الشاهق، وكذلك كان يوجد في الجهة الجنوبية للقلعة قصر يقع على مرتفع صغير يوجد بآخره خزان للمياه [5] وتوجد في منتصف القلعة اثار كنيسة مربعة الشكل وبسيطة في تكوينها المعماري يقسم فناءها إلى قسمين غير متساويين [6] ويبدو ان تلك الكنيسة كانت في الأصل مسجداً حوله الصليبيون كعادتهم إلى كنيسة بما يخدم أغراضهم الدينية. وكذلك وجد فيها الحمامات وصهاريج المياه ومخازن المؤن

---

(2) محمد بن ابي طالب المعروف بشيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (بطرسبورغ: 1865)، ص208.

(3) وقع هذا البرج في الجهة الجنوبية الغربية من سور مدينة دمشق، وقد بناه السلطان نور الدين محمود زنكي في سنة 564هـ/1168م، وقد بني بأحجار قديمة. ينظر: محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس الصليبية (عمان: 2004م)، ص84.

(4) فينر، القلاع، ص71.

(5) مقامي، فرق الرهبان، ص82–83.

(6) العسلي، فن الحرب، ج 4، ص354.

التي كانت تكفي الحامية المدافعة عنها مدة خمس سنوات، فضلاً عن احتوائها على مساكن كبيرة تسع ألف رجل من المقاتلين الاسبتارية[1].

اما القلعة نفسها فقد امتازت بارتفاعها الشاهق، فقد كان يصعب على المهاجمين اقتحامها وعدم وصول سهام النشاب او حجارة المنجنيق اثناء الهجمات الإسلامية المتكررة عليها انذاك [2] كما انها كانت محاطة بتحصينات طبيعية خارجية تمثلت بالمنحدرات التي أحاطت بالقلعة من جميع جهاتها هذا فضلاً عن الموقع الاستراتيجي للقلعة اذ كان البحر المتوسط يحميها من جهة والجبال من جهة اخرى، كذلك احاطت بها بعض الوديان [3] وكان يتم الدخول إلى القلعة كلها عبر برج بوابة متين واجهته تجاه الغرب عند السور، ومن هناك يتم الوصول إلى حصن البوابة (مقر الحرس) عبر فناء امامي[4].

وتجدر الاشارة هنا إلى ان العمارة العسكرية للقلاع والحصون الصليبية تقسم إلى قسمين كل قسم له طرازه الخاص في البناء الاول: اتخذه فرسان الاسبتارية **Kinghts of the Hospital**[5] ويتألف من قلاع مشيدة على مرتفعات شديدة الانحدار ولها سور مزدوج محصن بأبراج مستديرة، وهذا الطراز يشابه حصون السين واللوار في أوربا في القرنين (5–6هـ/11–12م)، ومن امثلته قلعة المرقب،اما الطراز الثاني: اتخذه فرسان تنظيم الداوية **Kinghts of the**

(1) نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: 1957م)، ص 172.

(2) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص 77؛ احمد بن محمد بن كثير، البداية والنهاية، خرج أحاديثه: احمد بن شعبان (القاهرة: 2003م)، ج 13، ص258.

(3) عوض، تاريخ الحروب، ص84.

(4) فينر، القلاع، ص72.

(5) تنظيم الاسبتارية: يعد تنظيم الاسبتارية من اقدم الهيئات الدينية العسكرية التي شهد الوجود الصليبي في بلاد الشام قيامها، ويعود الفضل في تاسيسها الى مجموعة من تجار مدينة امالفي الايطالية وذلك عندما قامت في سنة 473هـ/1080م، بانشاء مستشفى للعناية بالحجاج النصارى الغربيين القادمين الى الاراضي المقدسة، كان اسلوب حياتها قائماً على مبادئ الفقر والعفة والطاعة بل ونذروا انفسهم لقتال المسلمين. ينظر: عوض، تاريخ الحروب، ص31–35.

Templars[1] وهو مستوحى من الحصون البيزنطية او العربية. ويتميز بأسوار محصنة بابراج مضلعة، وهذه الاسوار تتقدمها خنادق ومن امثلتها حصن عثليث[2] وقلعة صافيتا (القصر الابيض)[3] **Chastel–Blanc**[4] وبذلك كان تصميم قلعة المرقب خليطاً من هندسة الحصون الواقعة جنوبي فرنسا والهندسة البيزنطية[5].

وقد كانت قلعة المرقب إحدى اكبر واقوى القلاع الصليبية في بلاد الشام[6] وهي تماثل حصن الكرك **Petra Deserti**[7] من حيث الضخامة والاتساع وقوة التحصينات[8] وقد وصفها ابن عبد الظاهر قائلاً ((**هذه القلعة لها بالنجم مناط، ولها على الدهر اشتراط، وبروجها ببروج السماء اختلاط**))[9] وعدها ابو الفدا ((**حصن الاسبتارية في غاية العلو والحصانة لم يطمح احد من**

---

(1) تنظيم الداوية: منظمة عسكرية تطلق على جماعة فرسان المعبد، وقد اسس هذه الجمعية هيو باينز **Hugh Payn** في سنة 512هـ/1118م، لحماية طريق الحجاج النصارى بين مدينتي يافا والقدس ثم تحولت الى هيئة عسكرية كان لها دور كبير في ارهاب المسلمين وقتلهم ومساندة الحملات العسكرية الصليبية على بلاد الشام. ينظر: عوض، تاريخ الحروب، ص39–40.

(2) حصن عثليث: حصن بساحل البحر المتوسط يقع بين مدينتي حيفا وقيسارية، وكان يعرف بالحصن الاحمر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص85.

(3) قلعة صافيتا: قلعة في عمق الساحل الشامي تقع على ارتفاع حوالي (1000 قدم) فوق سطح البحر حررها الظاهر بيبرس سنة 669 هـ. 1271م. ينظر: فينر، القلاع، ص63.

(4) كروسيه، الحروب الصليبية، ص99.

(5) جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكو، ط 2 (بيروت: 1981م)،ص 235.

(6) ر. سي سميل، الحروب الصليبية، ترجمة: سامي هاشم (بيروت: 1982)، ص103.

(7) حصن الكرك: اسم لمعقل حصين يقع في اطراف بلاد الشام، بين إيلة والبحر الاحمر شيده الصليبيون في سنة 537هـ/1142م، فوق قمة جبل شاهق تحيط به الاودية من ثلاث جهات. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص453.

(8) احسان عباس، تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (عمان: 1998م)، ص101.

(9) تشريف الايام، ص85.

الملوك في فتحه)) [1] **كما قال عنها ابن تغري بردي من القلاع ((المشهورة بالمنعة والحصانة))**[2].

واذا كانت معظم القلاع والحصون في بلاد الشام قد شيدت أيام الروم البيزنطيين أو ايام الصليبيين فان قلعة المرقب كانت منذ نشأتها قلعة عربية إسلامية[3] فقد شيدت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/789-809م)، ثم اعيد بناؤها في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) سنة 454هـ/1062م[4] على يد احد امراء المسلمين وهو رشيد الدين الاسماعيلي انذآك [5] وقد استمرت قائمة حتى قدوم الصليبيين.

والجدير بالذكر ان قلعة المرقب كانت تحت حكم بني محرز اثناء الغزو الصليبي لبلاد الشام، وكان بنو محرز موالين لبني عمار [6] حكام طرابلس الذين كان يتولى قيادتهم جلال الدين ابو الحسن على بن عمار الذي استطاع ان يبسط سيطرته على جبلة وبانياس وغيرها من مدن ساحل البحر المتوسط، وكانت بلاد

---

(1) المختصر في اخبار البشر، تحقيق: محمود ديوب (بيروت: 1997م)، ج2، ص355.

(2) جمال الدين ابو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: د. ت)، ج 7. ص317؛ محمد بن عبدالرحيم بن الفرات، تاريخ بن الفرات، عني بتحريره ونشره: حسن محمد الشماع (البصرة: 1969م)، ج 7، ص317.

(3) العسلي، فن الحرب، ج 4، ص355.

(4) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص85؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص208.

(5) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، اثار البلاد واخبار العباد (بيروت: 1960م)، ص261.

(6) بنو عمار: هم اسرة تعود اصولها الى قبيلة كتامة المغربية الافريقية، وبعد قيام الدولة الفاطمية كان شيوخ هذه القبيلة ممن لهم الصدارة في مؤسساتها الادارية والعسكرية ابرزهم الحسن بن عمار الذي كان من ابرز رجال الخليفة الفاطمي العزيز بالله، وكان بنو عمار قضاة طرابلس ثم اصبحوا امراءها فمنهم امين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وجلال الملك ابو الحسن علي بن عمار وفخر الملك عمار بن محمد بن عمار، ثم استقلت تلك الاسرة بطرابلس سنة 462هـ/1070م، ينظر: عماد الدين محمد الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، تحقيق: يحيى مراد (بيروت: 2004م)، ص163.

الشام وساحلها تعيش في صراع خلال تلك الفترة بين الفاطميين في مصر وبين السلاجقة الذين حاولوا وضع حد لاطماع الفاطميين ونفوذهم[1].

وعندما وصلت قوات الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام في سنة 492هـ/1098م واحتلت جميع مدن الساحل الشامي باستثناء مدينتي صور وعسقلان، واشتركت قوات الروم البيزنطيين في هذه الحملة بقيادة جون كانتالوزينوس **John Cantacuzene**[2] فاستولت على المنطقة الواقعة بين مدينتي اللاذقية وبانياس بضمنها قلعة المرقب، ثم ما لبثت قوات الروم ان انسحبت منها في سنة 498هـ/1104م، وتركت للصليبيين حرية العمل في بلاد الشام بعد ان وجدت انها غير قادرة على مجابهة تانكرد هوتفيل **Tancard Hotivel**[3] امير انطاكية (498–505هـ/1104–1111م) والاصطدام معه، وهذا مايؤكد ان الخلافات والتناقضات بين الحلفاء الصليبيين هي أكثر اتساعاً واكبر عمقاً مما كانت عليه بين القادة المسلمين، غير ان زخم الاعداد الكبيرة للجيوش الصليبية وقدرتها القتالية كانت اكبر من تلك التي توافرت للمسلمين فكان لابد ان تأخذ هذه القوة مداها واتساعها حتى يتمكن المسلمون من قلب موازين

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 1، ص27–29.

(2) جون كانتالوزينوس: هو احد القادة البيزنطيين قدم الى قبرص لمطاردة اسطول جنوي، فوصل الى اللاذقية حيث استولى رجاله على الميناء من الجهة الجنوبية من المدينة، وكان قد عمل وصيا على الامبراطور البيزنطي جون الخامس باليالوج ثم انتزع العرش منه وحكم بيزنطة (639–652هـ/1241–1254م) باسم جون السادس ثم انتصر عليه باليالوج واضطر للتنازل عن الحكم. ينظر: رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 2، ص78–79.

(3) تانكرد هوتفيل: هو احد الامراء الايطاليين كان جندياً على درجة عالية من الكفاءة، اشترك في الحملة الصليبية الأولى وخدم مع الامير جودفري وكان ذراعه الايمن في جميع عملياته العسكرية، وقد منحه الامير جود فري امارة الجليل قبل خضوعها للسيطرة الصليبية لتكون اقطاعاً له مدى الحياة. ينظر: سعيد عبدالله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (الاسكندرية: 1990م)، ص67–68.

القوى واستثمار تناقضات الصليبيين، كما استفاد الصليبيون من اوضاع بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية الاولى وما تضمنته من سلبيات[1].

وقد عمل تانكرد في ربيع سنة 502هـ/1108م، على توسيع حدود إمارته وذلك على حساب تفتيت إمارة بني عمار في طرابلس، فانتزع منهم جبلة وبانياس وقلعة المرقب [2] وظل تانكرد يحكم انطاكية بمقتضى العرف الإقطاعي الغربي حتى وفاة بوهيمند الاول **Bohemond I**، سنة 505هـ/1111م،، ومعنى ذلك ان تانكرد حتى تلك السنة كان نائباً عن بوهيمند الاول في حكم انطاكية ولم يتولى الامارة فيها الا بعد وفاة بوهيمند لان الاخير ترك طفلاً في الثانية من عمره وهو بوهيمند الثاني الذي ظل يعيش مع امه في ايطاليا، وهكذا كان على تانكرد ان يفكر فيمن يخلفه في حكم أنطاكية، فاختار حفيده روجرسالرنو **Roger Salerno** (506–513هـ/1112–1119م) وأوصى له بالحكم وهو على فراش الموت، ولكنه اشترط ان يتنازل روجر عن الحكم لبوهيمند الثاني عند بلوغه سن الرشد واتى إلى الشرق للحصول على تركة ابيه [3] وعلى اية حال تولى روجر الحكم في امارة انطاكية وحاول ان يمد نفوذه ويبسط سيطرته على جميع المواقع المحيطة بحلب من جهتي الشمال والغرب كما حاول الاستيلاء على قلعة المرقب التي رفضت الاعتراف بتبعيتها لامارة انطاكية عقب وفاة الامير تانكرد[4].

وكان روجر قد خرج إلى انطاكية في سنة 511هـ/1117م، لمهاجمة حماة ورفينة[5] فخرج في اثره طغتكين امير دمشق (497–522هـ/1103–1128م) وجرت بينهما مراسلات لعقد الصلح لكن من دون جدوى، فعاد روجر إلى انطاكية وارسل وفداً إلى المرقب يأمر حكامها بنو محرز بالاستسلام وتسليم القلعة إلى الصليبيين من دون قيد او شرط، غير انهم تخوفوا من ذلك فلم يلتفتوا إلى هذه الرسالة وصرفوا رسله، وفي الوقت ذاته شرع بنو محرز في مراسلة الصليبيين في

---

(1) العسلي، فن الحرب، ج 4، ص355–356.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 2، ص91.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (القاهرة: 1963م) ج 1، ص341.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 2، ص91، 218؛ فينر، القلاع، ص75.

(5) رفينة: مدينة من اعمال حمص. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص55.

بانياس يعرضون عليهم تسليمهم قلعة المرقب فوافق الصليبيون على الطلب وبعد ايام قليلة احتلوها واخرجوهم منها وعوضوهم باقطاع اخر، وشحنوا المرقب بالمقاتلين من الصليبيين والارمن[1] ويبدو ان رفض بني محرز تسليم قلعة المرقب لروجر يرجع إلى استخدام اسلوب التهديد والوعيد الذي اعتمده لانتزاع تلك القلعة من المسلمين ولذلك فضلوا تسليمها إلى الصليبيين في بانياس فضلاً عن يأسهم من عدم وصول الإمدادات وإنقاذ القلعة من السقوط.

وعلى الرغم من ذلك تمكن روجر من انتزاع قلعة المرقب من الصليبيين في سنة 511هـ/1117م، واهتم باصلاح الحد الجنوبي لانطاكية واسند إقطاع قلعة المرقب إلى اسرة مانسوير **Mansoer** وبذلك استطاعت امارة انطاكية في عهد اميرها روجر ان تقوم بدور فاعل في دعم وتثبيت السياسية الصليبية في بلاد الشام[2].

والمعروف ان قلعة المرقب تضررت مرات عديدة بسبب الزلازل التي اجتاحت معظم مناطق بلاد الشام في السنوات 522–566هـ/1157–1170م،[3] مما تطلب تخصيص اموال ضخمة لاجل إصلاح القلعة وترميمها، وعندما عجزت أسرة مانسوير عن تامين هذه الأموال اضطرت إلى قبول عرض هيئة الاسبتارية بالتخلي عن القلعة مقابل التعويض المادي[4] وهو ايجار سنوي قدره 2200 بيزنت ذهبي[5] دفعت لاخر مالك للقلعة وهو برتراند مانسوير المرقبي **Bertrand**

---

(1) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص86.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 2، ص218؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص348؛ العسلي، فن الحرب، ج 4، ص356.

(3) عز الدين محمد بن محمد بن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مامون شيحا (بيروت: 2002م)، ج 9، ص 119، ج 12، ص 226؛ ابو الفدا، المختصر، ج 2، ص102–103، 125؛ ابن الكثير، البداية والنهاية، ج12، ص203، ج13، ص226.

(4) العسلي، فن الحرب، ج 4، ص356.

(5) البيزنت: عملة ذهبية بيزنطية سميت بهذا الاسم نسبة الى مدينة بيزنطة (القسطنطينية) وكانت هذه العملة متداولة في العصور الوسطى حتى من نصف القرن 7هـ/13م، وهي تعادل حوالي ثلاثة ونصف غرام من الذهب. ينظر: يوسف، العدوان الصليبي، ص 216، هامش رقم (2).

Margat[1]، ثم خفض المبلغ إلى 2000 بيزنت في سنة 614هـ/1217م، ثم زاده البارون القبرصي بارتيس الذي تزوج ابنة برتراد المرقبي إلى 14400 بيزنت سنوياً[2] وذلك لضمان مورد مالي ثابت لاصحاب القلعة القدامى، كما ان الاسبتارية قدمت للامير بوهيمند واولاده مبلغ 10,000 بيزنت ثمناً لهذه الصفقة.

وتأتي هذه الخطوة ضمن سياسة الدولة الصليبية التي عاشت ظاهرة جديرة بالاهتمام وهي ظاهرة منح القلاع والحصون الهامة إلى التنظيمات العسكرية من الاسبتارية والداوية على وجه الخصوص وذلك عندما عجز الامراء والبارونات عن القيام بمهمة الدفاع عنها وما وراء ذلك من تكاليف باهضة، فلم يوجد انذاك سوى الهيئات العسكرية التي استطاعت القيام بهذه المهمة بما لديها من اموال طائلة وسيل لاينقطع من الفرسان المحاربين، فمثلاً بيع قلعة المرقب للاسبتارية لعجز صاحبها عن القيام بواجبات الدفاع عن اقطاعه الشاسع[3].

وقد عاش في قلعة المرقب مئات من الفرسان الرهبان الاسبتارية بشكل دائم تحت قيادة عسكرية او قائد عسكري هو القسطلان **Chastelain**[4] ويساعده

---

(1) برتراند المرقبي: وهو الابن غير الشرعي لريموند كونت تولوز اوريموند الرابع، عهد له أبوه بإدارة أملاكه عند مغادرة بلاده في فرنسا، قدم الى بلاد الشام في بداية اذار سنة 503هـ/1109م للمطالبة بارث والده في امارة انطاكية اذ وصل بجيش قوامه اربعة ألآف مقاتل واسطول جنوي ضخم ونتيجة لذلك دخل في نزاع مع تانكراد الذي اصدر امراً يقضي بمغادرة انطاكية. ينظر: رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 1، ص230؛ هارولد فنك " تاسيس الامارات اللاتينية "، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير سعيد عبدالله البيشاوي وآخر، ترجمة: عامر نجيب موسى (عمان: 2004م)، ج 1، ص86.

(2) هانز ابرهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم (ليبيا: 1990م)، ص239؛ العسلي، فن الحرب، ج 4، ص357.

(3) مقامي، فرق الرهبان، ص71.

(4) القسطلان: وهو مستحفظ القلعة، ويرجح ان اللفظ معرب عن الكلمة اللاتينية **Castellanus**. ينظر: يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبدة قاسم (القاهرة: 1999م)، ص100.

النائب او الفيكونت **Viscount**[1] فضلاً عن جنود آخرين وتركبولية [2] لذلك اصبحت هذه القلعة بمثابة ثكنات عسكرية لهيئة الاسبتارية كما كان يتم بالمرقب الاجتماعات السنوية الخاصة بالهيئة، كما كانت تمثل قصراً للضيافة استضافت فيه الهيئة كبار زوارها هذا فضلاً عن كونها مقر الإدارة المركزية لهيئة الاسبتارية[3].

ويذكر ابن عبد الظاهر نصاً هاماً عن دور الاسبتارية في الاهتمام بقلعة المرقب والمبالغ الطائلة التي أنفقوها في أعمارها قائلاً: **((انفق إخوة بيت الاسبتار في عمارتها من الفضة والذهب مايوزن بالقنطار بعد القنطار، وكم كانوا اخوة في الانفاق عليها حساب التجار))**[4] هذا فضلاً عن دورها المعنوي في الدفاع عن الاراضي المقدسة التي كانت الغاية التي كرست من اجلها منظمات الفرسان الرهبان الاسبتارية والداوية وفرسان التيوتون[5] كل طاقاتها، وقد قامت هذه المنظمة بدور كبير في دعم وتثبيت الكيان الصليبي في بلاد الشام[6].

---

(1) الفيكونت: وهو من اهم موظفي الادارة ينوب عن حاكم القلعة في ادارة شؤونها. ينظر: رنسيمان، تاريخ الحروب، ج 2، ص488.

(2) التركبولية: ويقصد بهم الاجناد الذين كانوا يشكلون جزءاً من القوة العسكرية للجيش الصليبي وكانوا من امهات يونانيات واباء من الترك والعرب، ونظراً لانه لم يكن لديهم من شرف المولد مايعتزون به فقد تزوجوا من المسيحيات المحليات في بلاد الشام، واخذ التركبولية منذ سنة 545هـ/1150م، يؤلفون طبقة البولان **(Poulains)**، وبلغ عددهم سنة 576هـ/1180م حوالي خمسة الالف شخص. ينظر: رنسيمان،تاريخ الحروب، ج 2، ص469.

(3) ماير، تاريخ الحروب، ص238؛ مقامي، فرق الرهبان، ص83.

(4) تشريف الايام، ص85.

(5) فرسان التيوتون: التيوتون هم سكان جرمانيا الشمالية، اما منظمة الفرسان التيوتون فكانت منظمة خيرية في بادئ الامر ثم تحولت سنة 595هـ/1198م، الى منظمة عسكرية واقتصرت على افراد الطبقة الارستقراطية من الالمان. ينظر: كروسيه، الحروب الصليبية،ص 99، هامش رقم (4).

(6) كروسيه، الحروب الصليبية، ص99.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تأريخ خضوع قلعة المرقب لتنظيم الاسبتارية، فقد اتفق سميل وفينر وماير على ان ذلك حدث في سنة 582هـ/1186م[1] اما شيخو فيرى ان ارتباط الاسبتارية بقلعة المرقب كان في سنة 604هـ/1207م،[2] والراجح هو الراي الاول وذلك لان الخطر الذي واجه الصليبيين ومعاقلهم العسكرية كان خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، من المستبعد ان يكون قد تعداه إلى القران السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، اذ ان اقدام الملوك والامراء الصليبيين على منح تلك المعاقل العسكرية للتنظيمات الدينية الحربية كان ضرورة ملحة فرضتها عليهم الظروف القاسية في حربهم ضد المسلمين خلال الفترة المبكرة من الصراع. بدليل عجز الايوبيين عن اسقاط قلعة المرقب فيما بعد معركة حطين سنة 583هـ/1187م،[3] نظراً لقوة تحصيناتها فضلاً عن المقاومة التي بذلها الاسبتارية في الدفاع عن قلعتهم ضد هجمات المسلمين.

ولقد عانى المسلمون كثيراً من عنت هيئة الاسبتارية وجورها بما عرف عنها وعن بقية الهيئات الدينية الحربية التي نظمت ايام الحروب الصليبية من الحقد الدفين والتعصب الحاقد ضد الاسلام واهله ولم يكن باستطاعة امراء المسلمين وقادتهم الكيد لحامية المرقب وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل، الاول: بعدها عن مراكز القوى الاسلامية في المدن الداخلية مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وغيرها، والثاني: هو ارتباط حامية قلعة المرقب بالصليبيين المقيمين في بانياس المرتبطة بامارة انطاكية الصليبية، اما العامل الثالث: فتمثل بتوافر امكانيات الدعم البحري لمدينة بانياس وقلعتها المرقب[4].

ويتجسد هذا الموقف في تجنب الصدام معها في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي (565–589هـ/1169–1193م) وذلك عندما اتجه من مدينة

---

(1) الحروب الصليبية، ص103؛ القلاع، ص73؛ تاريخ الحروب، ص239.

(2) لويس، جولة في الدولة العلوية (القاهرة: 1960م)، ص490.

(3) الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: مصطفى فهمي الكتبي (القاهرة: د.ت)، ص102.

(4) العسلي، فن الحرب، ج 4، ص357.

طرطوس بعد تحريرها في 6 جمادى الاولى سنة 584هـ/1188م، فوصل قلعة المرقب فوجدها **((من حصونهم التي لاترام ولاتحدث احداً نفسُهُ بملكه لعلوه وامتناعه، وهو للاسبتار والطريق تحته ضيق لايسلكه الا الواحد بعد الواحد))** ولذلك ترك تحريرها لمستقبل الايام القادمة وتوجه إلى جبلة لاسيما بعد ان علم بوصول الدعم البحري لها من جزيرة صقلية[1].

اما بالنسبة للدور العسكري الذي ادته قلعة المرقب فيتضح في اتخاذ عناصر فرسان الاسبتارية قلعة المرقب قاعدة عسكرية لشن الهجمات على املاك المسلمين في مناطق مختلفة من بلاد الشام، ففي 3 من رمضان سنة 599هـ/1202م، قاد الصليبيون من قلعة المرقب هجوماً مشتركاً مع صليبي حصن الأكراد [2] وطرابلس ضد المسلمين في منطقة بعرين [3] غير ان الملك المنصور حاكم حماه تصدى لهم وتمكن من هزمهم واسر عدداً من مقدميهم وخيالتهم[4].

---

(1) ابن الاثير، الكامل، ج 9، ص411؛ كمال الدين عمر بن محمد بن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (دمشق: 1953م)، ج 3، ص102–103؛ ابو الفدا، المختصر، ج 2، ص159؛ احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: 2005م)، ج 12، ص161؛ زين الدين عمر بن الوردي، تاريخ بن الوردي، ج 2، ص97؛ عبد الرحمن محمد الحضرمي بن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت: 1979م) ج 5، ص372.

(2) حصن الأكراد: وهو حصن منيع أقيم على جبل الجليل المتصل بلبنان ويقابل حمص من جهة الغرب وقد أحتله الصليبيون سنة 5.3هـ/1109م، وبقي في أيديهم حتى تحريره في عهد السلطان الظاهر بيبرس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص264.

(3) بعرين: قلعة وبلدة بين مدينة حمص وساحل البحر المتوسط. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص272.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، ج 3، ص143؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات،م 4، ج 2، ص25؛
W. B. Stevenson, The Crusaders in the East (Cambridge: 1965), p.300-301.

وبعد مرور ثمانية عشر يوماً على هذا الانتصار قامت قوة كبيرة من فرسان الاسبتارية بلغ عددها اربعمائة فارس والف ومائتين من الجند المشاة عدا التركبولية من قلعة المرقب وحصن الأكراد وهاجموا منطقة بعرين، وتمكن الملك المنصور للمرة الثانية من هزمهم وإلحاق خسائر بشرية بهم، وأخيراً عقد معهم الهدنة في سنة 600هـ/1203م، ولما انتهت مدة الهدنة هاجم الاسبتارية من قلعة المرقب مدينة حماه في سنة 601هـ/1204م، فتجددت الهدنة بينه وبينهم غير ان الصليبيين نقضوا الهدنة عندما هاجموا قلعة جبلة ومدينة اللاذقية السورية وقتلوا من المسلمين إعداداً كبيرة[1].

وفي العهد الملوكي أصبحت قلعة المرقب خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تمثل عاصمة قوية ومركزاً عسكرياً رئيساً لدولة شبه مستقلة هي هيئة الاسبتارية، وقد حاول السلطان الظاهر بيبرس (658–676هـ/1260–1277م) الاستيلاء عليها فكانت المحاولة الأولى في سنة (658هـ/1260م)، عندما أرسل قوة عسكرية بقيادة الأمير مبارز الدين أقجا انطلقت من حلب ولدى وصولها قلعة المرقب ضربت عليها حصاراً وتمكنت من هدم البرج الذي يقع باتجاه باب الميناء وكادت تلك القوة أن تحقق هدفها وتستولي على القلعة غير ان مقتل قائدها بسهم أطلقه عليه الصليبيون من القلعة أثناء الهجوم ادى إلى ارباك الجند المهاجمين وانسحابهم وعودتهم إلى حلب مع غنائم كثيرة[2].

اما محاولته الثانية فقد قادها بنفسه سنة 659هـ/1261م، عندما قدم من مصر إلى بلاد الشام على راس حملة عسكرية كبيرة فوصل مدينة حماة وانطلق منها إلى قلعة المرقب[3] بينما اشار ابن تغري بردي انه وصل دمشق يوم الثلاثاء

---

(1) جمال الدين محمدبن واصل، مفرج الكروب في اخبار ايوب: تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: 1953م)، ج3، ص146؛ ابو الفدا، المختصر، ج 2، ص193، 195–196؛ تقي الدين احمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: 1997م)، ج 1، ص273، 275–276.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، ج 3، ص165.

(3) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص77.

7 ربيع الآخر من السنة ذاتها [1] غير ان محاولته لم يكتب لها النجاح بسبب سوء الأحوال الجوية لسقوط الثلوج والأمطار فضلاً عن وعورة الطرق المؤدية إلى قلعة المرقب[2] ويعلق ابن عبد الظاهر على الجهود التي بذلها السلطان الظاهر وإخفاقه في الاستيلاء عليها قائلا: ((**واجتهد الملك الظاهر في الإغارة عليها مراراً وتكراراً فما قدر الله ذلك ولا سهله ولا عجله**))[3].

ولقد كان لتحرير حصن الأكراد في 16 شعبان سنة 669هـ/آذار سنة 1271م، دوره الكبير في دعم مركز المسلمين في مواجهة الصليبيين، فقد اتخذه السلطان الظاهر بيبرس قاعدة لعملياته العسكرية ضد الصليبيين في شمال الشام[4] وقد افزع هذا التحرير حاكم قلعة المرقب هيو ريفيل **Hugh Revel** وهو مقدم تنظيم الاسبتارية (656–676هـ/1258–1277م)، فارسل إلى السلطان الظاهر بيبرس طالباً الصلح وعقد هدنة معه كانت مدتها عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام اولها مستهل شهر رمضان سنة 669هـ/1271م، وتضمن شروط عديدة هي:

1. استرجاع جميع ما أخذه الاسبتارية من بلاد الاسلام في أيام الناصر صلاح الدين الايوبي.
2. ترك جميع ماللاسبتارية من مناصفات وحقوق على بلاد الشام.
3. تكون بلاد المرقب مناصفة بين السلطان الظاهر بيبرس والاسبتارية.
4. عدم تجديد عمارة بقلعة المرقب[5].

اما السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (678–689 هـ / 1279–1290م) فقد سار ايضاً على نهج أسلافه الناصر صلاح الدين الأيوبي والسلطان

---

(1) النجوم الزاهرة، ج 7، ص148.
(2) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص77.
(3) تشريف الايام، ص77.
(4) عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي (القاهرة: 1967م)، ص268؛ احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك في مصر والشام (الاسكندرية: 1982م) ص266.
(5) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر (الرياض: 1976م)، ص379.

الظاهر بيبرس في إخراج الصليبيين من بلاد الشام، وكانت سياسته تجاه الصليبيين في فترة الإعداد لبناء الجبهة الداخلية تتمثل بالموافقة على عقد مهادنات مؤقتة مع الصليبيين نظراً لانشغاله بصد الهجوم المغولي والتفرغ للقضاء على منافسيه من الأمراء المسلمين من جهة [1] ومن جهة ثانية كان هدف السلطان قلاوون من تلك المهادنات ((**فصل الصليبيين بالشام عن المغول في العراق وفارس**)) حسب قول عاشور[2].

وكان الصليبيون قد استغلوا فرصة تردي الأوضاع السياسية في بلاد الشام لضرب مناطق نفوذ المسلمين، فقاموا بمحاولة للاستيلاء على حصن الأكراد وانتزاعه من المسلمين فهاجموه ونكلوا بأهله، وفي طريق عودتهم انقضت عليهم قوة إسلامية عند قلعة صافيتا، وألحقت بهم خسائر فادحة في أواسط سنة 679هـ/1280م[3].

ولم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي إزاء هذا الاعتداء، ففي أواخر سنة 679هـ/1280م كتب الامير سيف الدين الطباخي[4] نائب السلطنة بحصن الأكراد كتاباً إلى السلطان قلاوون يستأذنه في غزو الصليبيين بقلعة المرقب وذلك بسبب مساعدتهم للمغول في الهجوم على حلب، فأذن له السلطان قلاوون في ذلك، فجمع الامير سيف الدين جيوش القلاع والحصون الاسلامية وامراء التركمان والرجالة واستصحب معه المجانيق وآلات الحصار وتوجه إلى قلعة المرقب، وبوصوله اليها ضرب عليها حصاراً ونصب المجانيق حولها ثم شرع في

---

(1) دريد عبد القادر نوري، "سياسة المنصور سيف الدين قلاوون تجاه القوى الصليبية في بلاد الشام"، (مجلة اداب الرافدين: 1978م)، ع9، ص45-51؛ المعاضيدي، الوطن العربي، ص239.

(2) الحركة الصليبية، ج2، ص1166.

(3) عزمي ابو عليان، مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك (عمان: 1995م)، ص70-71.

(4) سيف الدين الطباخي: هو احد مماليك السلطان المنصور قلاوون، كان نائب السلطنة بحصن الاكراد، ثم اصبح والي على حلب للفترة (691-699هـ/1291-1299م) توفي سنة 700هـ/1300م؛ ينظر: ابو الفدا، المختصر، ج2، ص246.

مهاجمتها، ولما لم يحرك الاسبتارية فيها ساكناً قوي عزم القوات الإسلامية المهاجمة، فتقدمت إلى جانب القلعة محاولة الاستيلاء عليها عندها رشقتهم عناصر الاسبتارية بالسهام، في حين كانت سهام المسلمين لاتصل اليهم بسبب ارتفاع القلعة ومناعة تحصيناتها، وقد احدث ذلك الموقف اضطراباً في صفوف القوات الإسلامية وحاول الأمير سيف الدين السيطرة على الموقف فأمر الجند بالابتعاد عن القلعة فظنوها هزيمة وانسحبوا فما امكنه الا ان تبعهم واثناء الانسحاب خرج الاستبارية في اعقابهم فقتلوا وجرحوا واسروا عدداً كبيراً منهم(1).

وما ان انتهى خطر المغول حتى بدأ السلطان قلاوون يعد العدة للانقضاض على معاقل الصليبيين لاسيما منها قلعة المرقب معقل عناصر الاسبتارية(2) وذلك لعدة أسباب اولها: انها كانت اعظم المعاقل العسكرية الصليبية خطورة عليه نظراً لمناعتها وحصانتها (3) حتى ان الصليبيين كانوا ((**يعتقدون انه لايدرك بحول ولاقوة وان الحيلة فيه قليلة**))(4) وثانيها: ان الاسبتارية أصحاب قلعة المرقب نقضوا شروط الهدنة التي عقدوها مع السلطان قلاوون في سنة 680هـ/1281م، ولم يكتفوا بذلك بل واصلوا اعتدائهم على المسلمين ومضايقتهم ومهاجمتهم مناطق نفوذ المسلمين من جميع الجهات (5) لذا قرر الاستيلاء عليها بعد ان لحق الضرر بالمسلمين ((**وكان بيت الاسبتار الذين به قد زاد بغيهم وعدوانهم وكثر فسادهم، حتى بقيت اهل القلاع المجاورة لهم كانها في حبس... واستمروا على هذا الطغيان، ولم يقفوا عند الايمان وعملوا كل قبيح من الغدر**

---

(1) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص 80؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج 7، ص317؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص137.

(2) جمال سرور، دولة بني قلاوون في مصر (القاهرة: 1947م)، ص237.

(3) ابن تغري بروي، النجوم الزاهرة، ج7، ص317.

(4) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص77.

(5) ابو الفدا، المختصر، ج 2، ص355؛ النويري، نهاية الأرب، ج 31، ص27؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص17.

والأسر والنهب))[1] وثالثها: تهديد الاسبتارية في قلعة المرقب لقوافل التجار المسلمين عند مرورهم بطريق القلعة [2] ورابعها: كان في نفس السلطان قلاوون الانتقام من اهل المرقب لما فعلوه مع عسكره في السنين السابقة [3] فضلاً عن انه كان قد صمم على محاربة الاسبتارية في قلعة المرقب والانتقام منهم خاصة بعد ان تعاملوا مع المغول وتحالفوا معهم ضد المسلمين [4] وخامسها: رغبته في تحريره بعد ان ((**كان قد اعجز الملوك، ولم يقدر احد منهم على التقرب منه**))[5] وسادسها: عد السلطان قلاوون الاستيلاء على قلعة المرقب خطوة كبرى في تقويض الكيان الصليبي في بلاد الشام[6].

وعليه قدم السلطان من مصر إلى بلاد الشام، وبعد وصوله دمشق استكمل تجهيزاته العسكرية وتحرك بالعساكر المصرية الشامية بسرية تامة دون ان يعلم احد بوجهته وآثر أن يفاجئ الحامية الصليبية في المرقب بالهجوم حتى لايقوم بوهيمند السابع **Bohemond VII** امير انطاكية (**674–686/1275–1287م**) بنصرتها وفي ذلك يقول ابن عبد الظاهر ((**وجهز المجانيق من دمشق ولايعلم احد إلى اين تسير، ولا إلى اين المصير، والرجال من البلاد مجهزة بازوادهم ومقدميهم وعددهم وهي كثيرة ولاتحصى كثرة، ومن الناس من يقول: إن العزم إلى قلعة الروم**[7] **ومنهم من يقول غير ذلك))**[8].

وبوصوله قلعة المرقب يوم الأربعاء 10 من شهر صفر سنة 684هـ/ 1285م، فرض حصاراً عليها واخذ الحجارون بتنقيب جدار السور، كما نصبت

---

(1) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص77؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص17.

(2) Lane-Pool, A History of Egypt in the Middle Ages (London: 1968), p.281; Stevenson, The Crusaders, p.349.

(3) ابن تغري، بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص315.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج3، ص668؛ مقامي، فرق الرهبان، ص84.

(5) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص77.

(6) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص1166.

(7) قلعة الروم: قلعة حصينة تقع في غرب الفرات مقابل البيرة بينها وبين سيمساط. وهي واقعة في وسط بلاد المسلمين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص390.

(8) تشريف الايام، ص77.

عليها عدة مجانيق لقذف الحجارة الملتهبة وإرغام من بداخلها من الصليبيين على الاستسلام وتسليم القلعة للمسلمين، وعندما تمكن النقابون من إحداث ثغرات في جدار السور ادرك الاسبتارية عدم جدوى المقاومة فاضطروا لطلب الأمان، فاجابهم السلطان قلاوون إلى طلبهم [1] ويذكر ابن عبد الظاهر نصاً هاماً يبين الأسباب الموجبة التي دعت السلطان قلاوون للموافقة على الصلح ((**فاقتضى الحال ان مولانا السلطان رأى اختيار الغنيمة بهذا الحصن العظيم اولى من التطويل في حصاره، وان التأخير له آفات، والاولى الاهتمام بما هو آت**))[2] ولربما كانت رغبته في الابقاء على القلعة والمحافظة على بنائها لانه لو اخذها بالسيف لاحتاج إلى طاقات بشرية ومبالغ مالية طائلة لاعادة اعمارها. وهذا ما دفعه لاعطاء اهلها الامان وسمح لهم بمغادرتها بأرواحهم وامتعتهم بأستثناء اسلحتهم إلى طرابلس وطرطوس، ودخل السلطان قلاوون القلعة يوم الجمعة 19 ربيع الاول سنة 684هـ/25 ايار سنة 1285م[3] بعد حصار دام ثمانية وثلاثين يوماً[4].

وبعد ان تم للسلطان قلاوون ما اراد اجتمع بكبار امرائه واستشارهم في هدم القلعة ام ابقائها، فرأى بعضهم ضرورة هدمها لضررها على المسلمين وحرمان الصليبيين من الافادة منها في حالة استحواذهم عليها لاحقاً، بينما رأى البعض الاخر الابقاء عليها خدمة لمصلحة المسلمين. اما السلطان قلاوون فقد أيد اصحاب الرأي الثاني وقرر عدم هدمها لحصانتها ومنعتها واهميتها العسكرية واعادة اعمارها وتحسينها وتزيينها، وصمم على ابقائها ((**حسرة في قلوب الكفار، وعضداً للحصون التي لها عليها حق الجوار**))[5].

---

(1) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص77؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج14، ص522.

(2) تشريف الايام، ص79.

(3) ابو الفدا، المختصر، ج2، ص355؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص315.

(4) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص18؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص189.

(5) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص80.

ولم يكتف السلطان قلاوون بذلك بل رتب فيه الف رجل من فرق الجيش وعدداً من الامراء أصحاب الطبلخانات [1] ومائة وخمسون من المماليك البحرية فضلاً عن اربعمائة من ارباب الضائع، كما زوده بأصناف عديدة من الاسلحة كالمجانيق والنشاب والزردخاناه[2] والنفط وغيرها[3].

وقد علق ابو الفدا على يوم التحرير الإسلامي لقلعة المرقب وانتزاعها من قبضة الاسبتارية قائلاً: **((وكان يوماً مشهوداً اخذ فيه الثأر من بيت الاسبتار ومحيت آية الليل بآية النهار))**[4] بعد ان كانت **((جمرة في حشى البلاد ومقاعد لقتال العباد))**[5] وبعد ان حررها السلطان قلاوون استولى على المواقع الاخرى التابعة لها مثل قلعة مرقبة[6] ومدينة بانياس[7].

وكان قد قدم على السلطان قلاوون في أثناء حصاره لقلعة المرقب رسول من قبل ليفون الثالث ملك أرمينية الصغرى (669–688هـ/1270–1289م) يطلب الصلح وعقد هدنة معه لأجل الحفاظ على مملكته [8] وقد رأى السلطان قلاوون انه

---

(1) الطبلخاناه: كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية او بيت الطبل ويشتمل على الطبول والابواق، وكانت العادة ان تدق مرة في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون بصحبة السلطان في اسفاره وحروبه. ينظر: احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: 1987م)، ج4، ص8–9، 13.

(2) الزردخاناه: او دار السلاح وهي كلمة فارسية مركبة وتشمل على انواع الاسلحة من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح وغير ذلك، وتعني ايضاً السجن المخصص للمجرمين من الامراء اصحاب الرتب. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص11.

(3) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام،، ص80.

(4) المختصر، ج 2، ص355.

(5) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص86.

(6) قلعة مرقبة: قلعة صغيرة تقع قرب ساحل البحر المتوسط جنوب قلعة المرقب، اقيمت فوق جبل شاهق لايصل اليها سهم ولاحجر منجنيق حررها السلطان قلاوون سنة 684هـ/1285م. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص258.

(7) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 4، ص523.

(8) ابن عبد الظاهر، تشريف، ص92.

من الممكن عقد هدنة مع الملك الارمني فعقدها مستهل شهر ربيع الاخر سنة 684هـ/7 حزيران 1285م وفق شروط أمنت للمماليك مصالحهم في أرمينية الصغرى[1].

وقد كان لتحرير قلعة المرقب أثره في نفوس المسلمين تمثل بمجموعة قصائد أشادت بهذا الانتصار، ولعل اروع ما قيل في ذلك قصيدة للشاعر شهاب الدين ابو الثناء محمود التي نقتطف منها ابياتاً تصف ذلك الانتصار حيث قال:

الله اكبرُ هذا النصـرُ والظفـرُ   هذا هو الفتحُ لاماتزعمُ السِّيَرُ

هذا الذي كانت الامالُ إنْ طمحتْ   إلى الكوكبِ ترجوه وتنتظرُ

كم رامَ قبلكَ هذا الحصنُ من ملـكِ   فطال عنه وما في باعه قصرُ

وكيف تمنحه الايـامُ مملكـةً   وكانت لدولتك الغراءُ تدخرُ

....

....

يا ملكَ الاراضِ الذي جيشُـهُ   يملأ من غربٍ إلى مشـرقِ

هنئتَ بالحصنِ العظيمِ الـذي   لفتحِه غيُركَ لـم يسبـقِ[2]

كما نظم ابن عبد الظاهر قصيدة مطولة مطلعها:

كم لكَ فتحٌ غيرَ هذا خُبـيِ   فاستوعَ فتحَ الارضِ واستوعبِ

وابشر وبشر والى سائر الا مصـ   ـار فاكتب عنك واستكـتبِ

يامـلكَ الارضِ الذي عزمـُهُ   قد سَهّل المرْقى الـى المـرقبِ

يافـاتحَ الحصنِ الذي فتحُـهُ   يأتى به شكركَ من يثـربِ[3]

---

(1) فتحي سالم حميدي اللهيبي، مملكة ارمينية الصغرى دراسة في العلاقات السياسية مع القوى المجاورة للفترة 463–776هـ/1071–1374م (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب: 2000م)، ص120–121؛
David Marshall Lang, Armenia Cradle of Civilization (London: 1970), p.207.

(2) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص83.

(3) تشريف الأيام، ص82.

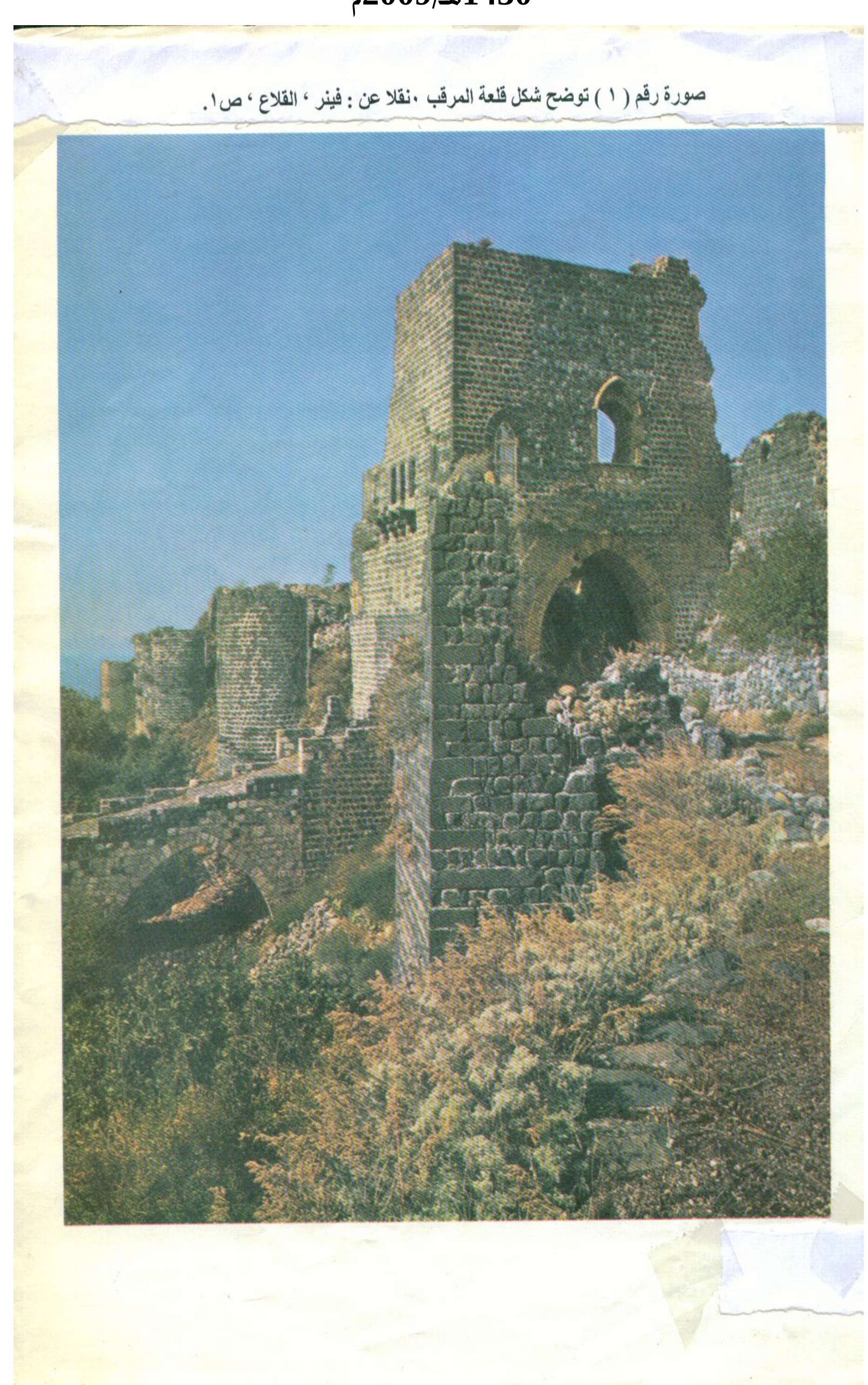
وفي الحقيقة كان سقوط قلعة المرقب سقوطاً لهيئة الاسبتارية بأسرها وذلك لان الهيئة بعد ذلك لم يبق لها في بلاد الشام قلاع كبرى كقلعة المرقب[1] وبعد ان تحقق للسلطان قلاوون ما أراد غادر قلعة المرقب وتوجه إلى دمشق فوصلها وأقام بها أياما ثم خرج منها عائداً إلى مصر[2].

ونخلص من هذا البحث إلى أمر مهم وهو ان قلعة المرقب كانت من أهم المعاقل الصليبية في بلاد الشام كان لها دور كبير في تثبيت الاحتلال الصليبي في المنطقة رغم المحاولات العديدة للقادة المسلمين التي أخفقت في الاستيلاء عليها لمدة تزيد على مائة وثمانين سنة وذلك يعود إلى قوة القلعة ومناعة تحصيناتها فضلاً عن موقعها البحري المتميز الذي سهل وصول الإمدادات لها من الغرب الأوربي مما أطال ذلك صمودها حتى نجح السلطان المملوكي المنصور قلاوون اخيراً من تحريرها وانتزاعها من قبضة الاسبتارية وظلت في حوزة المسلمين حتى خروج الصليبيين نهائياً من بلاد الشام والى الوقت الحاضر.

---

(1) مقامي، فرق الرهبان، ص83.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص319.

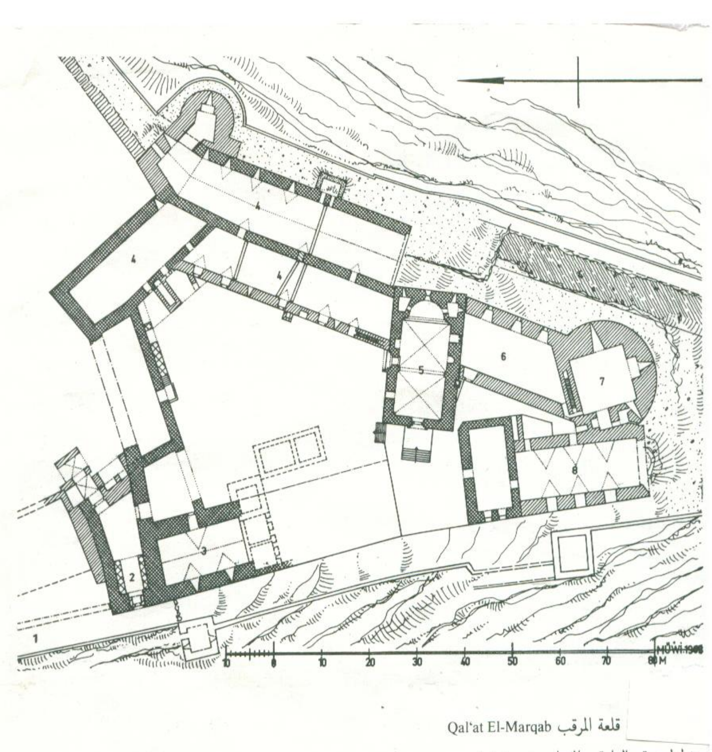


صورة رقم (١) توضح شكل قلعة المرقب ،نقلا عن : فينر ، القلاع ، ص١.



خارطة رقم (١) توضح موقع قلعة المرقب في شمال بلاد الشام.
نقلا عن: سميل، الحروب الصليبية، ص١٥٠

شكل رقم (١) يوضح تخطيط قلعة المرقب . نقلا عن فينر ، القلاع ،ص٧٣ .



قلعة المرقب Qal'at El-Marqab

مخطط موقع القلعة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١ .

١ ـ فناء أمامي بين البوابتين الخارجية والداخلية ، ٢ و ٣ ـ أقبية مقنطرة لمبنى ملحق بالكاتدرائية أزيل فيما بعد ، ٤ ـ غرف مستودعات ، ٥ ـ كنيسة القلعة ، ٦ ـ قاعة كبيرة من طابقين مع برج محصن ملحق بها ، ٧ و ٨ ـ قاعة . (بالاستناد إلى مسح المؤلف ورواسمه) .

1430هـ/2009م

The Military Role of the Crac de Marget Castle during Crusade Wars Age

Dr. Musab Himmadi Najim*

Abstract

The Crac de Marget Castle considered one of the castles which was existent before the crusading invasion to the Syria then after the occupation it became one of the important military castles which being concerning the districts of the crusading power.

The Crac de Marget Castle has a very important military role being it the sea and earth defense front from principality in addition to it's role in defending to the holly lands which was the main purpose that was the military and religious organizations took all their efforts, and the castle was as a military base which the crusading assumed it to make attack on the Muslim authority districts of Al-Sham country.

Concerning to the religions role, the castle was a central of the administration for the consultation order and it is considered as a location for the holding of annual meeting of the order guesting it's older visitors.

But for it's religious role, the castle was the main head quarter in addition it is contain a church to perform their worshiping and rites duties.

This castle has power that make many Moslem's leaders couldn't occupied it for more than 180 year till was liberated from crucifixion at the era of Mamlokion sultan Al-Mansoor-KulaRoon (678-689A.H/1279-1290A.D), it is still it's antiquities standing till now a days in spite of more than eight century from it's structure.

* Dept. of Islamic Civilization/ College of Islamic Sciences/ University of Mosul.